مجلة جامعة جازان للعلوم الإنسانية
Jazan University Journal of Human Sciences (JUJHS)

الإنسان بين مظاهر التكريم الإلهي ومظاهر السفول البشري المعاصر

علي دخيل الله الصاعدي
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية العقيدة والدعوة، الجامعة الإسلامية بالمدينة، المملكة العربية السعودية

Man Between Manifestations of Divine Honor and Manifestations of Contemporary Human Baseness

Ali Dakhil Allah Al-Saedi
Department of Da'wah and Islamic Culture, College of Creed and Da'wah, Islamic University of Madinah, Kingdom of Saudi Arabia

DOI	RECEIVED الاستلام	Edit التعديل	ACCEPTED القبول
https://doi.org/10.63908/4k2jfv10	2025/02/01	2025/07/01	2025/07/02
NO. OF PAGES عدد الصفحات	YEAR سنة العدد	VOLUME رقم المجلد	ISSUE رقم العدد
23	2025	1	14

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز أهم مظاهر التكريم الإلهي للإنسان، ومظاهر السفول البشري المعاصر، وتكمن أهمية هذا الموضوع في أن السفول البشري يمثل تهديدًا خطيرًا للفرد والأسرة والمجتمع؛ بانحرافها عن التكريم الإلهي على حدٍ سواء، في ظل الاختراقات العقدية والفكرية والأخلاقية المعاصرة للإنسان والمجتمعات وجاءت في مقدمة هذه المخاطر والتهديدات ما ارتكبته الحضارة الغربية المعاصرة من انتهاكٍ خطيرٍ لإنسانية الإنسان، من خلال سوقه إلى مستنقع السفول البشري، واستخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج النقدي، وقد توصلت من خلال البحث إلى نتائج من أبرزها: إثارة الجدل في الفلسفات القديمة والمعاصرة حول أصل تكوين الإنسان وخلقه، في حين أبان الوحي حقيقة الإنسان وأصل تكوينه؛ حيث ميّزه بالخلق وجمال الصورة والوعي والإدراك، الذي يعدّ من أبرز معالم التكريم الإلهي للإنسان. وبالإيمان يُدرك الإنسان الغاية من وجوده في هذه الحياة، وبه تصلح طبائعه البشرية، ويُخرجه من الفردانية إلى الجماعة، ومن التطرف إلى الاعتدال، ويسيطر على شهواته ليرفعه بالفضيلة، وبه يكون ائتلاف المؤمنين في مجتمع واحد. وخلاصة السفول البشري المعاصر تتمثل في تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية، ومسخ الصفات والأفكار التي تُميّزه عن غيره من الكائنات، فتُجرّده من إنسانيته، وتَحوّله إلى شيء ضمن الأشياء؛ أي: تُسقط عنه حرية الاختيار والمقدرة على تحقيق جوهر إنسانيته الشريفة. وأوصى الباحث الباحثين في المؤسسات الأكاديمية بمختلف التخصصات الإنسانية؛ بمزيدٍ من الأبحاث والدراسات المتعلقة بمظاهر السفول البشري، وكيفية تحصين الأفراد والمجتمعات منها، مع تقديم برامج عملية قابلة للتنفيذ ميدانيًا.

كلمات مفتاحية: التكريم، الإنسانية، الإلهي، السفول، البشري.

Abstract:

This research aims to investigate the manifestations of divine honor for man and the most prominent manifestations of contemporary human baseness. The importance of this topic lies in the fact that it represents a serious threat to the individual, family and society alike in light of the contemporary doctrinal, intellectual and moral breaches of man and societies. At the forefront of these dangers and threats is the serious violation of human humanity committed by contemporary Western civilization, by leading him to the swamp of human baseness. The researcher used the descriptive method while revelation revealed the truth of man and the origin of his formation, as it distinguished him with creation, beauty of image, awareness and perception, which is considered one of the most prominent features of divine honor for man. Through faith, man realizes the purpose of his existence in this life, and from extremism to moderation, and controls his desires to raise him with virtue, and through it the believers unite in one society. so, it strips man of his humanity, and transforms him into something among things; that is, it strips him of the freedom of choice and the ability to achieve the essence of his honorable humanity. specializations; conduct more research and studies related to the manifestations of human baseness, and how to protect individuals and societies from it, while presenting practical programs that can be implemented in the field.

Keywords: Honor, Humanity, Divine, Base, Human.

مُقَدّمَـــة:

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾، [سورة الأنعام:١]، أحمده وهو أهل للثناء والمجد، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشكره وهو المستوجب للشكر، شكرًا هو أهله في ملكوته وعلو شأنه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، بشيرً ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. ثم أما بعد:

فما بين تكريم الله للإنسان الذي يتجلى في عدة صورٍ عظيمةٍ أنعم الله بها عليه، إذ به يسمو الإنسان وتكون رفعته وعزته، وبين ما قد يقع فيه –بعض البشر–، في العصر الحاضر، من انتهاكٍ صارخٍ لإنسانيتهم، وتعطيلٍ لما أكرمهم الله به، وسقوط إلى السفول البشري يكون مآله الإهانة للإنسان والعبث بشخصيته، وتدميرٌ لكل ما يليق به، من خلال التورّط في عدة إشكالٍ مقيتةٍ فيها انتكاسة خطيرة للذات البشرية، وتنكّب عن الفطرة السوية، وتجاوز لما تقتضيه العقول الراشدة.

ولقد امتنّ الله على الإنسان بما كرّمه وميزه به على سائر المخلوقات، وكرّمه بالخلق والفطرة والعقل والإيمان، ونبّه إلى السفول الذي قد يقع فيه الإنسان، ولا يخفى على مهتم ومتابع ما تتعرض له الإنسانية في واقعنا المعاصر من اختراقات عديدة وخطيرة ترمي إلى الفتك بها وتغيير قناعاتها، ولعل الشباب بالذات يواجه مخاطر عديدة بفعل هذه الاختراقات غير العادية، التي تستهدف عقيدته وأخلاقه وقيمه وخصوصيته الثقافية وبنيته الاجتماعية ورسالته الحضارية.

هذا السفول صارت له اليوم عدة صورٍ وأشكالٍ في ظل الاختراقات المعاصرة، التي تستهدف الإنسان والشباب والمجتمع بما يتنافى مع الدين والفطرة والعقل والكرامة الإنسانية، لا سيما من خلال سفول الاستنساخ البشري، وسفول الشذوذ والمثلية، وسفول التغيير لخلق الله، وسفول المادية المطلقة. وعليه فقد جاء هذا البحث لمناقشة هذه الإشكالية وفق العنوان الآتي: **الإنسان بين مظاهر التكريم الإلهي، ومظاهر السفول البشري المعاصر.**

مشكلة البحث وتساؤلاته:

إذا كان عصرنا الحاضر هو عصر العلم والثقافة والتطور والتكنولوجيا والتقنية وثروة المعلومات والاكتشافات العلمية والاختراعات الصناعية التي يعول عليه في خدمة الإنسان، وتحقيق الراحة والرفاهية له؛ فإن لهذه الحضارة المدنية المعاصرة مخاطر عديدة، قد تصيب بعض البشر دون بعضهم الآخر، وإذا كان غير المسلم هو الأكثر وقوعًا فيها عندما يغفل عن مظاهر تكريم الله له وإنعامه عليه؛ فإن هذه الغفلة قد أصابت بعض المسلمين الذين فقدوا مرجعيتهم الإسلامية، وتأثروا بالوافد السلبي الذي غزا عقولهم وأفسد أفكارهم ودمّر أخلاقهم، من خلال وقوعهم في درك السفول البشري بأشكاله القبيحة التي لا تليق بأي إنسانٍ لمجرد أنه إنسان خلقه الله في أحسن تقويم وكرّمه، فضلاً عن الإنسان المسلم الذي ينبغي أن لا يتورط بأي شكلٍ من أشكال السفول المقيت.

وفي ظل هذه المعادلة المتناقضة بين التكريم والسفور تتمحور إشكالية هذا البحث من خلال إثارة التساؤل الرئيس الآتي: ما مظاهر التكريم الإلهي للإنسان ومظاهر السفول البشري المعاصر؟

ويتفرع عنه هذان السؤالان:

١.ما مظاهر التكريم الإلهي للإنسان؟

٢.ما مظاهر السُفول البشري المعاصر؟

أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره:

لهذا البحث أهمية علمية دفعت الباحث لاختياره تتلخص في الآتي:

أولًا– لعل الحياةَ الماديةَ المعاصرةَ منزوعةَ القيم والروح؛ قد تسللت بمفاهيمها إلى كثير من العقول، وتركت فيها غفلةً كبيرةً عن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان؛ فكانت هذه الدراسة للوقوف على أبرز هذه المظاهر التي لا يصير الإنسان إنسانًا إلا بها، ومنها تتجلى معرفة أعظم نعم الله تعالى على الإنسان.

ثانيًا– في ظل الاختراقات العقدية والفكرية والأخلاقية المعاصرة للإنسان والمجتمعات، والتي تُمثّل تهديدًا خطيرًا للفرد والأسرة والمجتمع على حدٍ سواء؛ تأتي في مقدمة هذه المخاطر والتهديدات ما ارتكبته الحضارة الغربية المعاصرة من انتهاكٍ خطيرٍ لإنسانية الإنسان، من خلال سوقه إلى مستنقع السفول البشري، فكانت هذه الدراسة إحدى الدراسات الفاحصة لهذا السفول ومخاطره.

ثالثًا– يأمل الباحث أن يكون بحثه هذا رافدًا للمؤسسات التعليمية والثقافية والاجتماعية والدعوية؛ تسترشد بها في حماية الفرد والمجتمع من هذا الاختراق الخطير لإنسانية الإنسان ووقوع بعض أفراد المجتمع في براثن السفول البشري المقيت.

رابعًا: لفت نظر الباحث ما تموج به مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة من ممارساتٍ قبيحةٍ تتفاقم مظاهرها مع الأيام، وتمثّلُ أحد أبرز المخاطر والتحديات المعاصرة التي تستوجب المواجهة؛ فكان أن اختار موضوع هذا البحث للكتابة فيه.

أهداف البحث:

يرمي هذا البحث إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

١. إبراز مظاهر التكريم الإلهي للإنسان.
٢. استخراج أبرز مظاهر السفول البشري المعاصر.

حدود البحث:

لهذا البحث حدود موضوعية، فهو يتناول جانب مظاهر التكريم الإلهي للإنسان بذكر عددٍ من أبرزها، وجانب مظاهر السفول البشري المعاصر بذكر عددٍ من أخطرها، دون الالتزام باستيفاء المظاهر في الجانبين.

منهج البحث:

إن طبيعة موضوع هذه البحث يستلزم استخدام المناهج العلمية الآتية:

المنهج الوصفي: وهو المنهج الذي يُعرّف بأنه: "الجمع المتأني والدقيق للسجلات والوثائق المتوفرة ذات العلاقة بموضوع البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث"(١).

المنهج النقدي: وهو المنهج الذي يعني "التمييز بين الجيد أو الصحيح وغيره، أو بين الإيجابي والسلبي في الموضوع أو المحتوى المدروس، وإظهار ذلك مسوغًا بأدلته"(٢).

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري من الباحث واطلاعه المباشر على المتوفر في المؤسسات البحثية حول موضوع البحث لاسيما دار المنظومة؛ لم يجد أي دراسة علمية تناولت الموضوع بمجموعه، وهذا حصرٌ موجز بأهم الدراسات السابقة التي تستدعي الإشارة إليها هنا:

الدراسة الأولى: تكريم الإنسان في منهاج القرآن ودلالته التربوية، للباحث: خالد يوسف العواد القضاة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، المجلد ١٠، العدد ٣، ٢٠١٤م.

هدف هذا البحث إلى تفسير خلق الإنسان والغاية من خلقه ومظاهر التكريم الرباني للإنسان وبيان حقوق الإنسان كما

(١) العساف، صالح، "المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية"، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٦هـ، ص ٢٠٦.

(٢) الحربي، علي، "أسس مناهج البحث العلمي وتحقيق النصوص في العلوم الإسلامية والعربية"، المتميز للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ٢٠١٨م، ص ١٣١.

حددها القرآن الكريم والدلالات التربوية التي يمكن استنتاجها من ذلك، واستخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي والوصفي من خلال مسح آيات القرآن الكريم التي تناولت أهداف الدراسة، وقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج كان من أبرزها أن الله خلق هذا العالم بما في ذلك الأرض أولًا، وخلق الإنسان من العدم، ثم خلق آدم من الطين، كما تضمن في النتائج العرض لمظاهر التكريم الرباني الذي حظي به الإنسان.

الدراسة الثانية: تكريم الله للإنسان في ضوء آيات من القرآن، للباحث كرم معروف محمود معروف، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر، لمجلد ٢، العدد ٢٨، العام ٢٠١٠م.

تناول في المبحث الأول: مظاهر تكريم الله للإنسان؛ من خلال اختصاص الإنسان بأن الله –تعالى– خلقه بيديه، وخلقه في الصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والمنطق والتمييز وتسخير ما في السماوات والأرض له، وتكريمه بتفضيله على كثير من خلقه وتحميله الأمانة ونفي الجبر عنه، وتكريمه بمحبته له وهدايته إياه بإرسال الرسل عليهم السلام، وتكريمه بمعية الله له وحفظه ورعايته من السوء وتحريم دمه وماله وعرضه، وإعطاء حق المساواة الشرعية لكل فرد مع الآخرين، وتكريمه عند موته والتكريم الأعظم في الآخرة.

الدراسة الثالثة: فرض الشذوذ في الفكر الغربي في الهيمنة والانحدار، للباحثة: مريم رضا خليل، مجلة أمم للدراسات الإنسانية والاجتماعية، صادرة عن مركز براثا للدراسات والبحوث، بيروت، بغداد، العدد ١، ١٤٤٥هـ، ٢٠٢٣م.

يتناول هذا البحث الأسباب المفهومة لهذا الإجراء، من خلال ملاحظة تداعياته على المجتمع الإنساني برمته، بما في ذلك المجتمع الغربي والأمريكي. فهو يربط موضوع الدراسة ومشكلتها بأصلها الأساسي، أي الفكر الرأسمالي الغربي، الذي سمحت هياكل هيمنته المادية بهذه الدرجة من التهرب من القيم الإنسانية. وينظر البحث إلى عملية التبرير القانوني باعتبارها نتاجًا طبيعيًّا وحتميًّا لتجاوزات الهيمنة المادية؛ إذ تشهد تآكل هياكلها. كما تدرس الورقة العلاقة بين فرض الشذوذ واحتواء الشباب والأطفال في سياق الحرب الناعمة.

الدراسة الرابعة: الاستنساخ بين الإباحة والتحريم في ضوء الشريعة مع بيان مواقف الهيئات الدولية المعاصرة، للباحث: محمد بن دغيليب العتيبي، رسالة ماجستير، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، كلية الدراسات العليا، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

تناولت الدراسة مفهوم الاستنساخ وأنواعه وحكم إجراء التجارب على الإنسان، ثم تطرقت لأنواع الاستنساخ وطرقه وأحكامه الشرعية مبينةً أربعة أنواع من طرق الاستنساخ البشري المتمثلة في استنساخ الخلايا واستنساخ الجينات واستنساخ الأجنة واستنساخ الأعضاء البشرية، ثم تناولت الدراسة أقسام الاستنساخ البشري من حيث أغراضه، إما بغرض البحث العلمي أو بغرض العلاج أو بغرض التوالد أو بغرض تحسين النسل البشري أو بغرض الاتجار والتكسب، وتطرقت إلى المصالح والمفاسد التي تصاحب الاستنساخ البشري، ثم صلة الاستنساخ بالجرائم الدولية والأبحاث الجنائية المتعلقة بها، وختمت الدراسة ببيان الجهود العالمية لتكثيف فعل الاستنساخ البشري ومواقف المنظمات العالمية للحقوق الإنسان والمنظمات الإسلامية.

الفرق بين هذه الدراسات السابقة وبحثي:

كل دراسةٍ من هذه الدراسات السابقة تتناول أحد محاور بحثي هذا بنسبة كبيرة من التشابه في هذه الجزئية، إلا أن مجمل هذه الأبحاث كلها لا تتناول موضوع هذا البحث بشكله المُجمل، كما أن الفرق الجوهري هو المقارنة بين مظاهر التكريم الإلهي، ومظاهر السفول البشري، لذا فإن

هذه الدراسات السابقة بمجملها لا تعيق موضوع البحث، إلا أني أفدتُ منها.

خطة البحث:

مقدمة.

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: مظاهر التكريم الإلهي للإنسان

المطلب الاول: تكريمه بالخلق

المطلب الثاني: التكريم بالفطرة

المطلب الثالث: التكريم بالعقل

المطلب الرابع: التكريم بالإيمان

المبحث الثاني: مظاهر السُّفول الإنساني المعاصر

المطلب الأول: سفول الاستنساخ البشري

المطلب الثاني: السفول بشذوذ المثلية الجنسية

المطلب الثالث: السفول في تغيير خلق الله

المطلب الرابع: سفول المادية المطلقة

خاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: مظاهر تكريم الإنسان

إن فهم الذات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، سيؤدي حتمًا إلى التصور الصحيح، لأنه كلام الله الذي خلق الإنسان من العدم، فهو سبحانه العليم بمادة الإنسان التي خُلق منها، والحكمة من خلقه، وما يعتري ذاته (جسدًا ومشاعر) من تغيراتٍ، تنشأ وتتبدل لعوامل عديدة، ولذلك فإن القرآن يمثل المصدر الأساس في علم النفس الإسلامي، وصحة السلوك الاجتماعي، وسمو الأخلاق والفضائل، والإجابة على الأسئلة الكبرى التي تشغل عقله وشعوره، وفي ضوء القرآن يدرك الإنسان جوهره ورسالته، ومدى التكريم الإلهي له، وهو ما يمكن تفصيله في المطالب الآتية:

المطلب الأول: تكريمه بالخلقة

كرم الله الإنسان على سائر المخلوقات بالقوام الحسن، والجوارح بأدق منافعها، وجمال الأعضاء، والهيئة الشريفة عن مخلوقات الأرض، ومنطق اللسان.

وكرَّمه الله بما يُضاف لهيئة الخلقة؛ بالعلم، والعقل، والإيمان، وتسخير الطبيعة له، "وبهذا التكريم يكون الإنسان قَيِّماً على نفسه، محتملًا تبعة اتجاهه وعمله، "وهذه هي الصفة الأولى التي كان بها الإنسان إنسانًا: حرية الاتجاه، وفردية التبعة، وبهذه الحرية استخلف في دار العمل"[1]، والحرية والفردية لا تعني الاستقلال الكامل للإنسان في التفكير، والمشاعر، والسلوك، وإنما هي منوطة بالمسؤولية الشرعية، والفطرة الإنسانية، والحق والواجب في الشريعة الإسلامية.

فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:٧٠]، "إن الإنسان سيد هذه الأرض، ومن أجله خلق كل شيء فيها، فهو إذاً أعز وأكرم من كل شيء مادي ومن كل قيمة مادية في هذه الأرض جميعًا... فهذه الماديات كلها مخلوقة أو مصنوعة من أجله، ومن أجل تحقيق إنسانيته وتقرير وجوده الإنساني"[2]. ومن أعظم ما كرّمه الله به: أمره للملائكة أن تسجد للأب آدم عليه السلام: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [سورة الحجر:٢٩].

ومن أهم مظاهر التكريم بالخلقة الآتي:

(١) ابن حميد، صالح، "نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم(ﷺ)"، ٤/ ١١٣٨.

(٢) الهاشمي، أحمد، "الإنسان في الأدب الإسلامي"، ص ٣٨١.

١. أصل التكوين، وجمال الصورة:

يدرك الفكر الإسلامي حقيقة النشأة والتكوين الإنساني من خلال مرجعية الوحي الإلهي، وينتقد الجدل العريض في الفلسفات القديمة والمعاصرة، لأن حقيقة الطبيعة لا تتناقض عن الحقيقة القرآنية، والتي انتظمت مفاهيمها بأكثر من آية، ويعرف فيها الإنسان وجوده ووظائفه؛ بدايةً من أصله، في قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [سورة ص:٧١]. وحقيقة سلالته ونشأته في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح:١٤]. هذا ومن تكريم الله للإنسان أنه أختصه بالمظهر الكريم والشريف، "فإن الله خلق آدم بيده على أكمل صورة وأحسنها"[١]، فقال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [سورة التين:٤].

وقال العلامة السعدي: "أي: تام الخلق، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه ظاهرًا أو باطنًا شيئاً"[٢].

فهو المخلوق المكرم على سائر المخلوقات، الذي أسجد الله له الملائكة، وهو الذي شرفه الله بمهمة الاستخلاف، ليكون السبب الذي يُجري من خلاله الله عدله ورحمته وأنه المخلوق الوحيد الذي جهزه الله بالعقل والاستعدادات المتميزة.

٢. الإدراك والوعي:

الإدراك أسمى وأرقى الفوارق بين الإنسان والحيوان، والوعي في تنظيم العمل اليومي بأسلوب عقلاني، وتعاطي الإنسان مع مظهره وجماله ومصالحه ومنافعه، كما هو الحال في النظافة والعلاقات، "والتصرفات الإنسانية كالملابس والسيارات، والثقافة الأدبية، والدين، والحب، والأعمال السياسية... فكل ما نقوم به من أعمال، من الصباح الباكر حين نبدأ يومنا في تنظيف الأسنان بالفرشاة، إلى أنْ نطفئ الأنوار ليلًا تمهيدًا للنوم، يتعذَّر على أي فرد مهما بلغت درجة ذكائه، القيام به بطريقة مماثلة"[٣].

ولما كان الإنسان هو الخليفة على هذه الأرض، منحه الله من الوعي والإدراك ما يعرف مصالح هذه الطبيعة، ومصالح التعايش والتعارف والتواصل في إدارة شؤون الاستخلاف، لأن دوره ووظيفته وهو تعمير الأرض ماديًّا ومعنويًّا، وعقليًّا آخذًا منها ومعطيها لها.

فالإنسان بوعيه وإدراكه؛ "يستطيع من طريق وعيه أن يؤسس الحضارة والثقافة، وله استعداد قوي في التغير وبناء بيئة مناسبة"[٤].

ومن أهم وسائل الوعي والإدراك لدى الإنسان، ما وهبه الله من جارحتي: السمع والبصر ؛ إذ بهما يتكون الوعي، ويُدرِك بها العقل المعارف، فامتنَّ الله في القرآن بهما معاً فقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل:٧٨]، لأن بوظيفتي السمع والبصر يتحقق الإدراك والتوازن في معارف العالم الخارجي[٥]، وجعلهما أهم وظائف العقل للإدراك والوعي بين الناس، فيُفهِم بعضهم بعضًا، ويدركون السنن والقواعد والأدلة، بمدركات عقلية مشتركة يتصادقون عليها، ويحتجون بها، ويفسرون الطبيعة على مقتضاها، ويستثمرونها بهذه العلوم التي لا تتخلف بحقائقها ومعادلاتها، وهي التي يوجههم الله إليها للاعتبار والتفكر والتعقل في القرآن الكريم.

---

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٣/ ٢٨٦.

(٢) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص٩٣٠.

(١) روبرت ليرمان، "الطريق الطويل إلى الانسان"، ص١٧٩.

(٢) الخطيب، محمد، "الأنثولوجيا دراسة عن المجتمعات البدائية"، ص١٧.

(٥) ينظر: دياب، د. عبد الحميد، "مع الطب في القرآن الكريم"، ص٥٣ ـ ٥٤.

المطلب الثاني: التكريم بالفطرة

معنى الفطرة في اللغة: الفِطْرة بالكسر الخلقة، والفطرة التي طُبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته. وفطر الله الخلق: ابتدأ صنعة الأشياء [١].

والمعنى الشرعي، فيه أقوال، وأهمها القول بأنها: الخلقة التي خلق عليها المولود، من المعرفة بربه، وهي معرفة الإسلام، وهذا المعروف عند عامة السلف [٢].

فالفطرة هي الهيئة التي خلق الله (ﷻ) الإنسان عليها، وهي تشمل جانبين: الهيئة الجسدية المحسوسة، والهيئة المعنوية المدركة، والمشتملة على المعارف الضرورية، والمبادئ الأولية من المعرفة؛ التي يشترك فيها بنو الإنسان، في ضرورات الطباع، والتفاعل مع القيم، وتغليب المصالح والمنافع، "واحتمال تبعات التكليف، وأمانة الإنسان؛ لأنه المختص بالعلم، والبيان، والعقل، والتمييز؛ مع ما يلبس ذلك كله من تعرض للابتلاء بالخير والشر، وفتنة الغرور بما يحسُّ من قوة وطاقة"[٣].

يقول ابن عاشور في قول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [سورة التين:٤]: "والذي نأخذه من هذه الآية أن الإنسان مخلوق على حالة الفطرة الإنسانية التي فطره الله ليتصف بآثارها، وهي الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكًا مستقيمًا"[٤].

ثم أفاد ابن عاشور؛ أن التكريم بالفطرة، يتم بمجموعة من الخصال، التي يمكن تلخيصها في الآتي [٥]:

١.الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر، بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة.

٢. التلقي العقلي السليم، بما يتصرف فيه العقل بالتحليل والتركيب، بحيث تمانع الفكرة ورود التلقينات الضالة، والعوائد الذميمة، والطبائع المنحرفة، والتفكير الضار، وتدفعها بدلائل الحق والصواب المستقرة فيها.

٣. الاستقامة في شؤون الإنسان، التي يصدر عنها الأعمال الصالحة.

٤. أن الإنسان مفطور على الخير، وأن في جبلته جلب النفع والصلاح لنفسه، وكراهة ما يظنه باطلًا أو هلاكًا، ومحبة الخير والحسن من الأفعال؛ لذلك تراه يسر بالعدل والإنصاف، وينصح بما يراه مجلبة لخير غيره، ويغيث الملهوف، ويعامل بالحسنى، ويغار على المستضعفين، ويشمئز من الظلم.

وزيادةً في تكريم الإنسان جاءت الشريعة الإسلامية لتحافظ على الفطرة، حسب قول العلامة ابن القيم: "الشرائع إنما جاءت بتكميل الفِطَر وتقريرها، لا بتحويلها وتغييرها، فما كان في الفطرة مستحسنًا جاءت الشريعة باستحسانه...وما كان في الفطرة مستقبحًا جاءت الشريعة باستقباحه"[٦].

ويرى ابن عاشور أن الشريعة مبنية على وصف الفطرة؛ التي هي أصل العقلانية، وأساس الاشتراك بين بني الإنسان، فقال: "ابتناء مقاصد الشريعة على وصف الشريعة الإسلامية الأعظم؛ وهو الفطرة"[٧]، واحتج بقول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم:٣٠]، باعتبار أن الفطرة "هي الحالة التي خلق الله عليها عقل النوع الإنساني، سالماً من الاختلاط بالرعونات، والعادات الفاسدة"[٨].

---

(١) ينظر: الخليل، "العين"، ٧/ ٤١٨، ينظر: الجواهري، الصحاح، ٢/ ٧٨١.

(٢) ينظر: ابن تيمية، "درء تعارض العقل والنقل"، ٣٧٣/٨، وأيضًا: ٨/ ٤٤٢.

(٣) عبد الرحمن، د. عائشة، "مقال في الإنسان"، ص١٥.

(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠/ ٤٢٥.

(٥) المصدر السابق، ٣٠/ ٤٢٥ . ٤٢٧.

(١) ابن القيم، "مفتاح دار السعادة" ٢/ ١٠٢٧.

(٢) ابن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية"، ص٢٥٩.

(٣) ابن عاشور، "مقاصد الشريعة الإسلامية"، ص٢٦١-٢٦٣.

وهذه الفطرة التي يقوم عليها الدين هي نظام الخلافة ومسؤولية الانسان، في قول الله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [سورة العصر: ١. ٣]. وعرَّف الله الإنسان بخصوصية العلم والبيان والبلاغة في الكلام، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [سورة الرحمن:١. ٤]. وهذا جوهر الانسانية، وإلا فلا معنى لانتمائه إليه، ولأنه مسؤول عما سعى به، لقول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [سورة النجم: ٣٩. ٤١]، وقال الله سبحانه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [سورة الإسراء:١٣].

ورفع الله كرامة الإنسان بما أودع في كيانه، وأنه بصير على نفسه: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ﴾ [سورة القيامة:١٤]. قال ابن عباس –رضي الله عنهما– حول الآية: "الانسان شاهد على نفسه وحده، يشهد عليه سمعه وبصره ورجلاه وجوارحه"(١).

وأخبر الله تعالى أن الإنسان يتكون من طاقتين: مادية وروحية، وأنه قوام حياته يكون على التوازن بينهما، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة القصص:٧٧]. وهذا حث وحض على طلب المنزلتين: الروحية والمادية، والإنسان لابد أن يضع توازنًا بين الطاقتين، لأن "الاسلام يدعو إلى الاعتدال والوسط في الحالات، وعدم الإفراط والتفريط في الشيء، والاعتدال ميزة الإنسان المفكر؛ الذي يرى الأمور واضحة من جوانبها العديدة، فيعطيها حقها من العناية والاهتمام"(٢).

وتقوم الطاقة الروحانية على التألُّه بالطاعة، والدعاء، والتضرع إلى الله –ﷻ– رجاءً بخيري الدنيا والآخرة؛ لأنه بالطاقة المادية وحدها لا يتحمل ما لا طاقة له به عند متاعب الحياة والبلاء والمصائب.

ولابد للإنسان أن يستمد الطاقة الروحية التي تعطيه طمأنينة النفس، ويستعين بالماديات التي تشبع حاجاته البدنية. لأن النبي(ﷺ) لما سمع عن ثلاثة نفر من الصحابة يريدون أن ينقطعوا عن الحياة للطاعة، "قال أحدهم: أما فأني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر أبداً، وقال الآخر: وأنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله إليهم، فقال: أنتم القوم الذِي قلتم كذا كذا، أما والله إنّي أخشاكم لله، وأتقاكم له؛ لكِنّي أصوم وأفطر، وأصلّي وأرقد، وأتزوَّج النِّساء؛ فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليس مِنّي"(٣).

كما أنَّ الميول المادي دون الروحي، أو العكس؛ هو من قبيل تغيير الطبيعة والخلقة، لمفهوم الآية: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾، لأن الشعور بالحاجة للماديات هو مما منحه الله للإنسان فلن ينقطع عنها، لكنه لن يستقيم إلا بالميول الروحي، "فالله لم يخلق شهواته وقواه الطبيعية عبثًا، أو لإخماد النفس، ولكنه خلق الإنسان على هذه الصورة من تنوع الغرائز؛ ليتمكن من السير عليها وتوجيهها إلى المثل العليا"(٤)، وهو التعبد والتألُّه لله تعالى.

في حين الإنسان إذا انخلع عن الفطرة فيكون "قد غفل عما مُيِّز به، وظن نفسه كسائر المخلوقات، وراح يعمل ما لا يبيحه له العقل، ولا ترضى عنه الفطرة، وانطلق يتزود من

(١) الطبري، " جامع البيان في تأويل القرآن "، ٦٣/٢٤.

(٢) الجومرد، محمدو "إنسان الحضارة في القرآن الكريم"، ص١٠٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ١٩٤٩/٥، رقم الحديث ٤٧٧٦.

(٤) طبارة، عفيف، "روح الدين الإسلامي"، ص١٦٥.

متاع الدنيا والاستمتاع بشهواتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأعرض عن النظر فيما ينفعه في معاده، وما يرضي به ربه، وما يوصله إلى النعيم المقيم.

المطلب الثالث: التكريم بالعقل

قال تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء:٧٠]، قال القرطبي: "وإنما التكريم والتفضيل بالعقل"، وقال: "والصحيح الذي يعول عليه: أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عُمدة التكليف، وبه يُعرف الله، ويُفهم كلامه"(١)، فالمرضي عند الله هو تقويم إدراك الإنسان ونظره العقلي الصحيح؛ لأن ذلك هو الذي تصدر عنه أعمال الجسد؛ إذ الجسم آلة خادمة للعقل(٢).

ولما كانت وظيفة الإنسان في هذا الكون: الاستخلاف؛ فإنه يفتقر إلى قانون ينظم وظائفه، فأعطاه الله العقل، وأناط به العلوم والمعارف، وأعطاه من القوى ما يصون الذهن والفكر في التعريف والدليل.

والقرآن يحض المؤمن لتحريك الأذهان والأفكار في الماديات وعالم الطبيعة، وخاطب أولى الألباب بهذه الآيات للعناية بالإنسان بتوعيته وتعميق نظره، لئلا تعبث به الأهواء(٣)، ومع ما أودعه الله في العقل مما سبق ذكره وبيانه؛ فإن العقل يرتكز على الوحي الغيبي، ولا يكون تابعاً للشهوة والهوى؛ لما لها من دواعي في تضليل الإنسان، لكن إذا انتهى العقل بالوعي فإنه يستنكر الشهوات غير المشروعة، فينكرها العقل الصحيح، وتنتهي قوة تلك الغريزة بمعرفة عواقب الأمور، ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سُمِّي صاحبها عاقلًا؛ من حيث إن إقدامه وإحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة، وهذه –أيضًا– من خواص الإنسان التي يتميز بها عن سائر الحيوان.

فالإنسان يصل إلى الدرجة الإنسانية الحقيقية بكمال العقل الذي يستمد العلوم بنور الوحي، ويدرك المصلحة والمفسدة، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر:٩]؛ لأن للعلم مزية عالية حول تقييم الأشياء الصحيحة أو الفاسدة.

والعلم والعقل يرقي الإنسان في درجات الفضيلة، ومن درجاتها ما يأتي(٤) :

الأولى: أن يرتدع الإنسان عن المآثم ويهجرها، ويندم عليها، ويعزم على ترك معاودتها.

الثاني: أن يقوم بالعبادات الموظفة عليه، ويسارع فيها بقدر وسعه.

الثالث: أن يتحرى بعلمه الحقيقي تعاطي الحسنات من غير تلفتٍ منه إلى المحظورات بمجاهدة هواه، وإماتة شهواته.

الرابع: أن يرضى ظاهرًا وباطنًا بقضاء الله وقدره، فلا يتزعزع تحت حكمه، ولا يتسخَّط شيئًا من أمره، ويعلم أن الله –تعالى– أولى به من نفسه.

وهذه المنازل الأربع هي المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء:٦٩].

المطلب الرابع: التكريم بالإيمان

يستمد الإنسان الهداية بالوحي بما يحقق معنى الإيمان، ويكرمه به، فيقول الله سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [سورة طه:١٢٣]،

(١) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٠/ ٢٩٤.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠/ ٤٢٤.

(٣) ينظر: الجومرد، "إنسان الحضارة في القرآن كريم"، ص ٤٥.

(٤) ينظر: الراغب، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص ١٢٥.

وقال الله عن نبينا محمد(ﷺ): ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [سورة الضحى:٨]. لأن الإنسان "يعجز عن إدراك سبب وجوده في هذه الحياة، كما يعجز عن إدراك الغاية، وما فيه من الخير لو أُوكل إلى نفسه... ولكن الله عادل حكيم يعلم أن الإنسان لا يكون شيئًا إنْ تركه لنفسه وعقله، وإنّ من العدل أن يبين له الرشد من الغيّ، ويُفصِّل له بين الحق والباطل"(١).

وبالجملة فإن الإيمان يُصلح طبائع الإنسان البشرية، ويحولها إلى خصائص فاضلة، ويخرجه من الحياة المادية إلى العبودية لله تعالى، ومن التطرف إلى الاعتدال، ويسيطر على شهواته ليرفعه بالفضيلة، كما قال الله سبحانه:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١١٠].

وهذه الخيرية الإيمانية تغرس في القلب كراهة الذنوب والشر والمنكر، وكراهة الفسوق؛ وتغرس فيه التوبة لو وقع الإنسان بالذنوب الكبائر؛ لأن التوبة من كمال الايمان؛ ولأن المؤمن لن يذنب إلا بسبب ضعف الإيمان، لقول النبي(ﷺ): "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن"(٢).

فتكريم الإنسان بالإيمان هو سر ائتلاف المؤمنين في مجتمع واحد، وشريعة واحدة، وعلاقات متينة، ولهذا عندما أراد نبي الله موسى –عليه السلام– أن يضيق على السامري أمره أن يعتزل المجتمع، فقال الله سبحانه: ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ ۖ﴾ [سورة طه:٩٧]؛ أي: "عقوبتك في الدنيا أن لا تمس أحداً ولا يمسَّك أحدٌ"(٣).

ولما هجر النبي(ﷺ) المتخلفين عن غزوة تبوك، قال كعب بن مالك رضي الله عنه: "فاجتنبنا الناس حتى تنكَّرت لي بنفسي الأرض؛ فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة"(٤)، وأعمق منه تعبيراً قول الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة التوبة: ١١٧ . ١١٨]. فالإنسان يكون بالإيمان أكثر استقراراً مع المؤمنين، لأنه يتعايش مع القيم الفاضلة، "ومن بين تلك القيم والمبادئ: الوفاء بالوعد والعفو عمن ظلمك، وعدم الخيانة عمن خانك، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، والقناعة"(٥).

المبحث الثاني: مظاهر السُّفول الإنساني المعاصر

أولًا– معنى السفول:

أ. المعنى اللغوي: السفول: "مصدر وهو نقيض العلو. والأسفل: نقيض الأعلى. و﴿ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾، قيل معناه: إلى الهرم، أو إلى التلف، وقيل: إلى الضلال" (٦). وسِفلة الناس، بالكسر وكفرحة: أسافلهم وغوغاؤهم (٧)، فهذه

---

(١) الموسى، د. محمد، "الإسلام وحاجة الإنسانية إليه"، ص ٢١،٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه، ٢/٨٧٥، رقم ٢٣٤٣.

(٣) الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن "، ١٤/٥٥١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كعب بن مالك رضي الله عنه، ٤/١٦٠٥، رقم ٤١٥٦.

(٥) بكير، نجيب، "اللقاء بين آدم وحواء والقانون والانسان"، ص٣٥٣.

(٦) ابن منظور، "لسان العرب"، ١١/ ٣٣٧.

(٧) الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ١/ ١٠١٥.

أهم المعاني المتوافقة مع مظاهر السفول البشري المعاصر.

ب . المعنى الاصطلاحي: لم يتوافر تعريف اصطلاحي واضح في معنى السفول، ولعل أقرب ما يكون تعريفًا له، بأنه: تعطيل منافع الخِلْقة والتكريم، وتفويت أسباب السعادة[١].

ويفيد نحو هذا المعنى قول العلامة البقاعي: "فصار بذلك أحط رتبة من البهائم، بل من أدنى الحشرات المستقذرات". أين التوثيق للنص؟

والانحدار إلى أسفل الطباع على درجات، هي [٢]:

فأولاها: الكسل عن تحري الخيرات، ويورثه ذلك الزيغ المعني بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾ [سورة الصف: ٥].

وثانيها: الغباوة: وهي ترك النظر، وبغض العمل، فيورثه ذلك رينًا على قلبه، وهو المعني بقوله تعالى﴿ كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين: ١٤].

وثالثها: الوقاحة وهي أن يرتكب الباطل ويراه في صورة الحق ويذب عنه، فيورثه ذلك قساوة القلب، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ﴾ [سورة البقرة:٧٤].

ورابعها: الانهماك في الباطل وهو أن يستحسنه فيحبه، ويُحسِّنه ويحببه إلى غيره، فيورثه ذلك ختماً على قلبه، وإقفالاً عليه. كما قال الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [سورة البقرة: ٧].

وحالة الإنسان المادي تأخذ به إلى البهيمية؛ حتى يكتشف الفرد تفاهة أحلامه، وعدمية المثل الأعلى الذي يسعى لتحقيقه، كما يقوم الإنسان الغربي بقمع إنسانيته خلف أوهام الفردوس الأرضي، ويظن أنه سيحقق السعادة؛ حتى يكتشف أنه ثمة فراغًا في حياته، وأنه لا يمارس أي إشباع روحي في جوهره الإنساني [٣].

وفي قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ يحتمل المعنى للسُفول بسفول التديُّن، والأخلاق، والتشريعات، "ويدل لذلك قوله بعده: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ لأن الإيمان أثر التقويم لعقل الإنسان الذي يلهمه السير في أعماله على الطريق الأقوم، ومعاملة بني نوعه السالمين من عدائه معاملة الخير معهم على حسب توافقهم معه في الحق فذلك هو الأصل في تكوين الإنسان"[٤].

وجملة: ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ معطوفة على جملة خلقنا الإنسان في أحسن تقويم فهي في حيز القسم. والمعنى أن الإنسان أخذ يغير ما فُطِر عليه من التقويم؛ وهو الإيمان بإله واحد، وما يقتضيه ذلك من تقواه ومراقبته فصار أسفل سافلين"[٥].

المطلب الأول: سفول الاستنساخ البشري

الفرع الأول: معنى الاستنساخ البشري.

الاستنساخ: "تكوُّن كائن حي كنسخة مطابقة تماماً؛ من حيث الخصائص الوراثية، والفيزيولوجية، والشكلية، لكائن حي آخر"[٦].

ويرى البروفسور "أكسيل كان" أن الاستنساخ البشري: "عملية تستبدل طريقة التكاثر الجنسي بالطريقة اللاجنسية

---

(١) ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢/ ١٤٢.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، ص ١٢٦.

(٣) ينظر: المسيري، "العلمانية الجزئية"، ١٧٢/١ . ١٧٣

(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠/ ٤٢٤. ٤٢٥.

(٥) الفراج، وليد، "السر في القسم بالتين والزيتون في ضوء الكتاب المكنون دراسة نظرية تطبيقية"، ص ١٤٨٣.

(٦) رزق، هاني: بيولوجيا الاستنساخ، بحث ضمن كتاب الاستنساخ جدل العلم والدين والأخلاق ص٢٠.

المأساوية؛ فمستقبل النوع البشري يتمثل في هذا التنوع الجيني الفطري الطبيعي، ومن جهة أخرى فإن النويات المنقولة، كما تخضع لعملية مسخ كروموزومي؛ فتؤدي إلى أنواع بشرية غير متقوقعة قد تختلف اختلافًا بيّنًا عن الكائنات المعطية للنويَّات الأصلية[١].

وللاستنساخ البشري أنواع: استنساخ الجينات البشرية، واستنساخ الخلايا، واستنساخ الأجنة، وقد يكون الاستنساخ كليًّا أو جزئيًّا[٢].

الفرع الثاني: نشأة الفكرة، وآثار السفول الإنساني:

بدأت فكرة الاستنساخ البشري في العقد الثالث من هذا القرن الميلادي في "ألمانيا" بدافع التمييز العنصري، وبعد مجيء "هتلر" إلى السلطة بدأت الأفكار تدخل حيّز التنفيذ، لكن التقنية المتوفرة وقتها خذلته، ثم كانت أول محاولة لعمل أجنة أنابيب في الحيوانات عام ١٩٤٤م من قبل كلٍّ من "روك" و "مينكين"، وفي سنة ١٩٥١م تمت أول تجربة ناجحة للتلقيح خارج الرحم، ثم في عام ١٩٥٣م تم تلقيح أول امرأة بحيوانات منوية مجلوبة من بنك حيوانات منوية، وقد تم الحمل وأنتجت مولودًا[٣]، وهذه البنوك للحيوان المنوي خلاف أمر الله، وتشريعاته، التي تُخِلّ بالمقصد النسب الضروري إلى أبوين شرعيين.

فالحضارة الغربية أخضعت الإنسان إلى المادية، بداية من السفول الإنساني بعبث أنابيب الأطفال، إلى انتهاك حرمات المُسنِّين بتخلي أهليهم عنهم، لتحقيق أقصى درجات التطور بتغيير خلق الله، وإهانة الإنسان، وبواسطة الاستغلال السيئ للتقنيات الحديثة، ويعبر عن هذا الفيلسوف "مارك أوزيون"؛ بقوله: "حالَمَا ينطلق التقدُّم فلن يوقفه أحد، وهذا التقدم ذو الأوجه المتعددة لا يكفُّ بالوقت نفسه عن تعقيد الحياة"[٤].

ويرى كثير من الباحثين العلميين والاجتماعيين أن هناك سلبيات خطيرة متوقعة للاستنساخ البشري، منها: مسخ الذات الإنسانية، وفقدان النسب بالأبوة والأمومة [٥]، واستنساخ أشخاص بدون معرفتهم، وبيع الأجنة المستنسخة، وتخليق سلالات متميزة تعتبر هي الجنس الأرقى، وتكوين جيش من المستنسخين الذين يحملون موروثات الضراوة والشراسة والعنف، وتخليق طبقة من العبيد تعامل بما تحت المستوى البشري وتقبل بذلك[٦].

ويعترف مفكرون غربيون "بمشاكل أخلاقية وقانونية كبيرة تمس هوية الشخصية الإنسانية، وتعريف البشرية نفسها، كل اللجان الأخلاقية التي تمت استشارتها أوصت بالحظر المطلق لهذه الممارسة على المستوى القومي والدولي، بشرط إعادة النظر في المسألة خلال عدة سنوات"[٧].

في حين الشريعة الإسلامية حفظت إنسانية الإنسان؛ فحرمت الإجهاض، وعاقبت على الزنا حتى تحمي النسب الشريف للإنسان، وحرمت على الطبيب المساس بجسد الإنسان إلا في حالات معينة كالضرورة، وأعلت من شأن الضرورات الخمس؛ وهي: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فإنه يصبح من الواجب في حق الأمة تحصيله (أي: نسب الإنسان) وإدراكه واجبًا عينيًا، وإلا أثمت الأمة

---

(١) الهراوي، محمد، "الاستنساخ البشري بين الثورة العلمية والضوابط الأخلاقية والفقهية"، ص٢٣.

(٢) ينظر: العتيبي، محمد، "الاستنساخ بين الإباحة والتجريم في ضوء الشريعة مع بيان مواقف الهيئات الدولية المعاصرة"، ص ٧٥-٧٦.

(٣) ينظر: العان، د. نزار، "انحرافات الثقافة العلمية، مجلة علوم وتكنولوجيا"، صادرة عن معهد الكويت للأبحاث العلمية، العدد ٤١، عام ١٩٩٧م. ص١٦١٧.

(٤) ينظر: العان، د. نزار، "انحرافات الثقافة العلمية"، مجلة علوم وتكنولوجيا الكويتية، العدد ٤١، شهر مارس، ١٩٩٧م.

(٥) ينظر: الهراوي، محمد، "الاستنساخ البشري بين العلمية والضوابط الأخلاقية والفقهية"، ص ٢٤

(٦) الهواري، "الاستنساخ البشري بين الثورة والضوابط الأخلاقية"، ص٢٤

(٧) هنري أتلان، مارك أوجيه، وآخرون، "الاستنساخ البشري"، ص٢٣.

جميعًا، فإن قام به البعض سقط الواجب العيني عن البقية، وهذا هو ميدان الأطباء المسلمين والمهتدين بنور الشريعة وبينات الهدى والفرقان"[١].

المطلب الثاني: السفول بشذوذ المثلية الجنسية

الفرع الأول: معنى الشذوذ والمثلية الجنسية:

أولًا- معنى الشذوذ:

الشذوذ في الاصطلاح: ابتعادٌ عن الوضع الطبيعي، وانحرافٌ عن القاعدة، أو الشكل أو النظام المتعارف عليه[٢].

والشذوذ الجنسي؛ لغة: انحراف عن السلوك الجنسي الطبيعي [٣]؛ أي: الخروج بالعلاقة الجنسية عن المسار الطبيعي الشرعي، بما يخالف الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، وهي أوسع من المثليَّة، ويدخل فيها: إتيان النساء من أدبارهن، والزنا بالمحارم، والتحول الجنسي الخبيث.

ويتضمن معنى ممارسة الجنس بصورة تخالف المشروع في العلاقة الجنسية؛ كالزنا بين الرجال والنساء اللاتي لا يحللن لهم، واللواط بين الرجال والرجال، والسحاق بين النساء والنساء.

ثانيًا- معنى المثلية الجنسية:

المثلية؛ لغة: أصله في لغة العرب مِن مِثْل، والمثْل: شبَه الشيء في المثال والقدر [٤]، ومثَّلَهُ بفلان: شبهه وسواه به[٥].

والجنسية؛ لغة: الجنس أعم من النوع [٦]. وجنس مفرد جمع أجناس، فالحيوان جنس، واسم الجنس: هو ما كان شائعاً بين كل فرد من أفراد الجنس لا يختص به واحد دون غيره، ومنه: تمازج الأجناس: تعايش مشترك، أو علاقات جنسية، أو زواج يضم أشخاصًا من أجناس مختلفة، واتصال شهواني بين الذكر والأنثى جاذبية الجنس [٧]. وهذا المعنى الأخير اصطلاح حادث هو المعنى المقصود في هذا البحث.

ثالثًا- المثلية الجنسية:

أما مفهوم "المثلية الجنسية" في الاصطلاح العلمي الحديث؛ فقد عرفت بأنها: "إشباع شخص لغريزته الجنسية من خلال الانجذاب النفسي والعاطفي نحو شخص من نفس نوعه، يمكن أن يتطور إلى درجة الاتصال والعلاقات الجنسية الكاملة، شريطة أن تتسم هذه العلاقات بالاستمرار"[٨].

كما عرفت بأنها: "قيام علاقة جنسية بين فردين من جنس واحد، دون تحديد فيما إذا كانت العلاقة الجنسية بين ذكرين أم بين أنثيين"[٩].

الفرع الثاني: نشأة إباحة المثلية.

عمد الفكر الغربي إلى استعمال هذا المصطلح «المثلية الجنسية» خلافًا لاصطلاح علماء علم النفس، وصنَّفه علماء الطبُّ العصبي إلى اضطراب في «التوجّه الجنسي»[١٠]، بعدما كان مصطلح المثلية مُصنفًا في حالة الشذوذ من نوع الاضطراب الجنسي لشخصية مصابة بمرض عقيم.

---

(١) العتيبي، محمد، "الاستنساخ البشري بين الإباحة والتجريم في ضوء الشريعة مع بيان مواقف الهيئات الدولية المعاصرة"، ص٢٨.

(٢) مختار، عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٢/ ١١٨٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ينظر: الفراهيدي، "كتاب العين"، ٨/ ٢٢٨.

(٥) ينظر: مختار، عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٢٠٦٦/٣.

(٦) ينظر: التهانوي، "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، ص٥٩٤.

(٧) ينظر: "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ١/ ٤٠٥.

(٨) ينظر: العون، خالد، "أحكام المثلية الجنسية بين الفقه والقانون القطري". ص١٣١.

(٩) ينظر: النوايسة، عبد الإله، "المثلية الجنسية الرضائية بين التجريم والإباحة"، ص ٢٤١.

(١٠) الخليل، مريم، "فرض الشذوذ في الفكر الغربي في الهيمنة والانحدار"، ص١٥١ . ١٥٢.

وهذا الاصطلاح يعني أنَّ تحديدَ هوية نوع الإنسان متروك للإنسان نفسه؛ فهو الذي يحُدد لنفسه ما يشاء من الميول الجنسية، فيصبح تحديد النوع الجنسي لا علاقة له بالخلقة التي خلق الله الإنسان عليها، إنَّما اختيار ذاتي يرجع إلى رغبة الشخص، وهذا يعود إلى فكرة دراسات «الجندر» وخاصةً إلى اليهودية "أودري كوهين"، الرئيسة والمؤسسة لكلية متروبوليان في نيويورك عام ١٩٧١م، وُفق ما يشير إليه تقرير لأرشيف النساء اليهوديات[١].

بدأت العديد من الدول الأوروبية منذ مطلع الألفية في تقنين الشذوذ الجنسي وزواج المثليين، وكانت هولندا هي الدولة الأولى التي أقرت هذا النوع من الزواج في عام ٢٠٠١م[٢]، وحتى عام ٢٠١٧م كانت قائمة الدول التي تُقنن زواج المثليين تضم ٢٥ دولة، وتوجد في القائمة الدول الآتية: الأرجنتين، بلجيكا، البرازيل، كندا، كولومبيا، الدانمارك، المملكة المتحدة، فرنسا، ألمانيا، إيسلندا، إيرلندا، اللوكسمبورج، مالطا، هولندا، نيوزيلندا، النرويج، البرتغال، سكوتلندا، جنوب أفريقيا، أسبانيا، السويد، الولايات المتحدة، والأوروجواي، كما تسمح بعض الولايات في المكسيك بهذا الزواج[٣].

وقد ازداد في السنوات الخمس الأخيرة سُعار الترويج للشذوذ الجنسي في الغرب ليصل إلى حدٍ تجاوز التشريع، وإقحامه في المناهج التعليمية للأطفال، ضمن ما يُعرف بـ "التوعية الجنسية"[٤]، واتجهت دول عدة إلى تشريع زواج الشواذ قانونيًّا، وإعادة تعريف مفهوم الأسرة في الدساتير؛ بحيث يشمل (أبوين من نفس الجنس + أطفال)، وأطلق مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الحملة باعتبارها أول حملة "توعية عالمية عامة" ترمي إلى رفع مستوى الوعي، والاحترام، والمساواة للمثليات والمثليين، ومزدوجي الميل الجنسي، ومغايري الهوية الجنسانية، بحسب موقع الأمم المتحدة[٥].

واتجهت عدة دول لتقنين تعليم المثلية الجنسية والتحول الجنسي وتفاصيلهما ضمن "الثقافة الجنسية"، فعلى سبيل المثال القانون الجديد الذي أقرت فيه الحكومة البريطانية إلزامياً تعليم ثقافة العلاقات الجنسية المثلية للطلاب في المدارس، وعدم السماح لأولياء الأمور الرافضين لتلك الدروس بسحب أبنائهم، هو –أيضًا– يعد الاطلاع على هذه الممارسات حقًا من حقوق كل طالب وطالبة، وقد أثار هذا قلقًا عميقًا لدى الملايين من مسلمي المملكة المتحدة[٦].

حتى البابا فرانسيس، الذي تم تصديره للعالم باعتباره رمزًا للإنسانية والسلام والتسامح بين الشمال والجنوب ومختلف الأديان، يُصرح في أكتوبر ٢٠٢١م، بأن: "المثليون أبناء الرب، ولهم الحق في تكوين أسرة". بحسب ما جاء في وثيقة جديدة في ١٨ ديسمبر ٢٠٢٣م، ويأتي إصدار الوثيقة، بعد يوم من مباركة قس في كنيسة بروتستانتية بإنجلترا، زواج كاهنتين تعملان في نفس الكنيسة [٧].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) سوزنجي، د. حسين، "التحليل الفلسفي الحقوقي للمثلية الجنسية"، ص٤٢ . ٤٣.

(٣) موقع قناة دي دبليو عربية، بعد انضمام أستراليا.. ما هي الدول التي تسمح بزواج المثليين؟، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٧، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/48gAI7Q

(٤) الشيخ، عمر، "تطبيع الشّذوذ خطوٌ نحو الحرية أم ركض نحو العدمية، مدونات الجزيرة"، بتاريخ ٢٠٢٣/١٠/٢، متاح عبر الرابط الآتي: https://bit.ly/3tEyznl

(٥) أخبار الأمم المتحدة، الأمم المتحدة تطلق حملة "أحرار ومتساوون" لتعزيز حقوق المثليين ومزدوجي الميل الجنسي ومغايري الهوية الجنسانية، بتاريخ ٢٠١٣/٧/٢٦، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/47kcgAY

(٦) البابا فرانسيس: المثليون أبناء الرب ولهم الحق في تكوين أسرة، بي بي سي عربي، بتاريخ ٢٠٢١/١٠/٢١، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/4aBQbRt

(٧) قناة روسيا اليوم، تغيير جذري بابا الفاتيكان يوافق رسميا على مباركة "الأزواج المثليين"، بتاريخ ٢٠١٣/١٢/١٨، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3S2A7kz

الفرع الثالث: جذور السفول بالشذوذ والمثلية:

يرى الفكر الغربي أن الإنسان إن هو إلا مجموعة من الدوافع المادية والاقتصادية والجنسية لا يختلف في سلوكه عن سلوك أي حيوان أعجم [١]، ويُحكَم على مقدار نجاحه أو فشله بمقدار ما يحققه من أهداف جنسية محضة، مثل: اللذة، خارج أي نطاق اجتماعي أو أخلاقي.

وصار الفكر الغربي يبالغ في تجريد الإنسان من خضوعه إلى الدين، وإخضاعه لعلماء النفس والاجتماع، واختطفت وسائل الإعلام وجدانه خلف اللذة والإباحية، وصار تقييمهم للإنسان بوظيفته بعيدًا عن المسؤولية الأخلاقية[٢].

وقد شكَّلَ مجيء إدارة "بايدن" علامة فارقة ومستجدة في مسار تقنين الشذوذ الجنسي، ومحاولة رفع التجريم القانوني عنه بعد إباحته، ما تبينّ معه لاحقًا أنّ الإدارة تضم أكبر عدد من المسؤولين من مجتمع الشذوذ، مما تراه الإدارة «تنوّعاً»، وهؤلاء يقدّر عددهم بأكثر من مئتي مسؤول، ما نسبته ١٤ % من مجموع المعينين البالغ عددهم (١٥٠٠) مسؤول [٣].

وتبنَّى الرئيس الأمريكي "بايدن" نفسه القانون، ووقَّع يوم ١٣ ديسمبر ٢٠٢٢م، قانونًا يحمي زواج المثليين في جميع أنحاء الولايات المتحدة [٤]، وصارت ثقافة الشذوذ الجنسي في الغرب اليوم فلسفة حياة، فهي تعيد رسم الحياة في نظر الشاذ جنسيًّا، فتتغير عنده القيم والمعاني الأخلاقية، ولم يعد يراها جريمة [٥].

وقد خلق الله في الإنسان القدرة على الاختيار والابتعاد عن كل ما يخالف الفطرة، والعقل، والشرع، ويكره مثل هذا الشذوذ، وكل إنسان مسؤول تمامًا عن كل ما يفسد حياته خلاف الخلقة الإنسانية الطبيعية، ويستطيع أن يتحرر من الدوافع الغريزية التي توصله إلى مستوى الحياة البهيمية، أو الانكباب نحو الفاحشة، فكل إنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره [٦]، أما فيما يتعلق بممارسة الشذوذ الجنسي بين النساء المثليات، فهو أكثر سخافة، ويجعل حياتهن أكثر حيرة وتعقيدًا، رغم عدم البوح عن تلك الحياة السافلة [٧].

أما المذاهب الدينية كاليهودية المعاصرة، واليهودية الإصلاحية والمحافظة فهي تقبل الشذوذ الجنسي، وقد أبرم حاخام . إصلاحي . عقد زواج بين رجلين أمام حائط المبكى عام ١٩٩٨م، وبعد عامين نشرت بعض الصحف[٨] مقالًا جاء فيه: "إن وضع الشواذ جنسيًّا في إسرائيل الآن أفضل من الناحية القانونية والتشريعية، وهو من أفضل الأوضاع عل مستوى العالم، فلا يوجد في إسرائيل قانون يمنع الشذوذ، ولا يوجد قانون يمنع اللواط، بالإضافة إلى أننا في طريقنا في إسرائيل نحو إصدار قوانين التبني التي تسمح للشواذ بتبني الأطفال"[٩]، وصار الشذوذ المثلي في الفكر الغربي حقًّا منظمًا في العديد من التشريعات.

وقديمًا في الحضارة اليونانية والرومانية كان الشذوذ المثلي يمارس وسط الطبقة العليا، في القرن السادس قبل الميلاد، وكذلك الحضارة الصينية كان لديهم نوع من التسامح بشأنه[١٠].

فالأمم الغربية والشرقية قد بلغت بهذا الفساد إلى مبلغ الانحلال والمسخ الإنساني، وأي نظام فكري وحضاري

---

(١) ينظر: المسيري، "العلمانية الجزئية"، ١/ ٢٦٩.

(٢) ينظر: المسيري، "العلمانية الجزئية"، ٣١٦/١.

(٣) ينظر: الخليل، مريم، "فرض الشذوذ الجنسي في الفكر الغربي"، ص١٥٩.

(٤) خبر صحفي، بايدن يصدر قانونًا يحمي زواج المثليين، الجزيرة نت، بتاريخ ٢٠٢٢/١٢/١٤، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/48EmNs4

(٥) هيثم، طلعت، "المثلية الجنسية الجريمة والعقاب"، ص٢٤.

(٦) المصدر السابق، ص٢٥.

(٧) الأمارة، أشرف، "علم نفس الشواذ"، ص ٨٠.

(٨) ملحق صحيفة هارتس، يوم ١٤ إبريل، عام ٢٠٠٠م.

(٩) باسل، يوسف، "المرأة في إسرائيل"، ص ٧٥.

(١٠) الزروقي، أسماء، "المخططات المعرفية غير المتكيفة لدى الجنسي المثلي"، ص٣٢ . ٣٣.

يبيح لشعبه أن "يمارس الجنس لا يكترث بالقيم الاجتماعية، أو الأخلاقية، أو الإنسانية، ولا حتى بالآخر، الذي لا يعدو أن يكون في نظره سوى موضع شهوته العابرة"[١].

المطلب الثالث: السفول في تغيير خلق الله

الفرع الأول: معنى تغيير خلق الله:

اختلف المفسرون في معنى "تغيير خلق الله" في قوله سبحانه: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١١٩]. على قولين:

القول الأول: أن المراد هو التغيير المعنوي، وذلك بتغيير دين الله وفطرته، وكذلك تغيير أمره، ورجح الإمام الطبري هذا القول[٢].

القول الثاني: أن المراد التغيير الحسي الظاهر، وهذا كالوشم، وتغيير الشيب بالسواد، والخِصاء وغير ذلك[٣].

فيمكن إرادة المعنيين جميعًا، لأنهما من أمر الشيطان، ومن سبيل الشيطان لإغواء الناس بتغيير خلق الله حسيًّا كان ذلك أو معنوياً، وهذا من اختلاف التنوع؛ لأن اللفظ إذا احتمل أكثر من معنى ولا مرجح بينهما؛ فإن الآية تُحمل عليهما[٤].

ونظرًا للمستجدات المعاصرة فقد رأى بعض العلماء أن مشكلة تغيير الجنس طرأت في الطب الحديث، كونها وسيلة في تغيير خلق الله، وقد أفاد الشيخ/ محمد الشنقيطي في هذا المدلول، فقال: "المراد به (أي: تغيير الجنس): الجراحة التي يتم بها تحويل الذكر إلى أنثى والعكس"[٥].

وذكر له حالتين:

الحالة الأولى: تحويل الذكر إلى أنثى، يجري استئصال عضو الرجل وخصيتيه، ثم يقوم الأطباء ببناء مهبل، وتكبير الثديين.

وفي الحالة الثانية: تحويل الأنثى إلى ذكر؛ يجري استئصال الثديين، وإلغاء القناة التناسلية الأنثوية، وبناء عضو الرجل.

وفي كلتا الحالتين يخضع الشخص الذي تجرى له الجراحة إلى علاج نفسي وهرموني مُعيَّن[٦].

وأما تعريف المعاصرين من الباحثين المختصين في الهندسة الوراثية لتغيير خلق الله، فأقرب التعريفات ما يأتي: أن تغيير الخِلقة يقوم على "التدخل الجيني"، الذي "يحصل في نوعين من الخلايا:

الأول: الخلايا التناسلية حيث يكون التدخل . غالبًا . في شخص لم يوجد بعدُ ولم تستقر صفاته الوراثية، إما بحذف صفة غير مرغوبة أو بإضافة صفة مرغوبة.

الثاني: الخلايا الجسدية حيث يكون التدخل هنا في شخص موجود بالفعل وقد استقرت صفاته، كالمولود حديثًا[٧].

ولهذا فإن «تغيير خلق الله» المفسد للإنسان هو "التغيير المادي في الهيئة والطبيعة، والتغيير المعنوي عبر تَنَقل الإنسان بين الإيمان والكفر مثلًا... وهو يحيل إلى تغيير الطبيعة الذي يكون بالخروج بها عن خصائصها وسننها البيولوجية الطبيعية المستقرة في جنسها" [٨].

وقد انتشر هذا النوع من الجراحة في السنوات الأخيرة في بلدان الغرب، وتتلخص دوافعه في أن هؤلاء المرضى – كما يقال– يشعرون بكراهية الجنس الذي ولدوا عليه، نتيجة لعوامل مختلفة، قد يعود أغلبها –كما يقول بعض الأطباء–

---

(١) المسيري، "العلمانية الجزئية"، ١/ ٢٧٦.

(٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٩/ ٢٢٢.

(٣) ينظر: المصدر السابق"، ٩/ ٢١٦.

(٤) ينظر: المديفر، "تغيير خلق الله ضابط المحرم منه وتطبيقاته المعاصرة"، ص١٣-١٤.

(٥) الشنقيطي، د. محمد ، "أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها"، ص ١٩٩.

(٦) المصدر السابق نفسه.

(٧) الخطيب، معتز، "من المقاربة الفقهية إلى المقاربة الأخلاقية"، ص ٩٥.

(٨) المصدر السابق، ص ٩٦.

إلى فترات مبكرة من حياة الإنسان وتربيته، وتكون التربية فيها غير سليمة، وهؤلاء الأشخاص لا يوجد فيهم أي لَبس في تحديد جنسهم سواء من ناحية المظهر، أو من ناحية الجوهر كما هو الحال في الخنثى[١].

ومما سبق يتبين أن تغيير خلقة الإنسان –من خصائصها الطبيعية والفطرية، التي تُميِّزه عن غيره من الكائنات، وتَحوِّله إلى شيء سافل غير محترم، وتجعله يفقد إنسانيته الحقيقية، ويعبث بأصل الخلقة التي خلقه الله عليها– أمر مخالف للفطرة البشرية، وهو داخل في تغيير خلق الله.

ولما كانت الرؤية الداروينية أصلاً لفلسفة الفكر الغربي في المتغيرات الثقافية في خلقة الإنسان، فالغرب يعتقدون أن القوانين الأخلاقية للإنسان هي مجرد التَطوُّر لأشكال السلوك الحيواني من الحيوان الحقير إلى شكل هذا الإنسان، وتتحكم به غريزة الحرص على البقاء البيولوجي، وهذا التغيير "لا يعدو كونه رغبةً تتضمن التطاول على مشيئة الله تعالى وحكمته؛ التي اقتضت تحديد جنس الإنسان ذكرًا كان أو أنثى"[٢].

الفرع الثاني: واقع السفول في تغيير خلق الله:

كل متغيرات التدخلات الطبية في تغيير خِلقة الإنسان، وتسهيل التحول الجنسي؛ يراها الفكر الغربي استثماراً لنظرية داروين، كما يقول المفكر "سينجر" أحد المتخصِّصين في أخلاقيات البحث الحيوي من جامعة برينستون: "كل ما علينا هو التمسك بداروين، فقد أظهر في القرن التاسع عشر أننا مجرد حيوانات، لقد اعتقد البشر أنهم جزء خاص من الخلق، أو أن شيئاً سحرياً يفصل بيننا وبين الحيوانات، تغوص نظرية داروين إلى أعماق العقلية الغربية لتقرر مكانة نوعنا في العالم"[٣]، لأنها نقطة التحول الفلسفي في تطوير نوع الإنسان، وصار معروضًا على مشرحة التجارب والتغيير الجنسي والبيولوجي، وتطويع رغبته إلى تغيير نوعه بحرية، كما ورد في المادة "الخامسة" من "اتفاقيات السيداو" تحت عنوان: تغيُّر الأنماط الاجتماعية والثقافية لدور كل من الرجل والمرأة"، فالأمومة ليست صيغة بيولوجية فيسولوجية لدى المرأة، ولكنها –وفقًا لهذه المادة– وظيفة اجتماعية يمكن أن يؤديها أي شخص ولو كان هذا الشخص الرجل نفسه"[٤]، وهذا يسمح لمن يريد تغيير نوعه، فللرجل أن يُغيّر نوعه، وللمرأة تغيير نوعها، ويتطور إلى أقبح من هذا.

ومن جوانب السُّفول في تغيير خلق الله، ما يأتي:

أولًا– التغيير في المظهر: فقد تطورت هذه الثقافة في العالم الغربي من إجراءات شَدِّ الوجه، وتحريف الأنف، وتغيير في الأرداف والثدي، إلى العمليات الجراحية أو الحقن والليزر، وملامح الوجه، وتكبير الشفاه، ونفخ الخدود، وتوسعة العيون، ورفع الحواجب، وتدوير الوجه، واستحداث شكل جديد للوجه؛ كل هذا قد يكون تقليداً لمظهر بعض المشاهير، خاصة بين النساء[٥]، وهذه حسب الأذواق الفاسدة، والأهواء، وخلاف الشريعة الإسلامية.

ثانيًا– التغيير النوعي: وهي العمليات النوعية التي تغير نوع الإنسان بأهم خصوصياته، على حالتين:

الحالة الأولى: إعادة تخصيص الجنس للمرأة أو الرجل، حيث يتم التغيير في الأعضاء التناسلية، واستبدالها، مثل: تكوين المهبل للمرأة، أو القضيب للرجل. لدواعي تافهة.

---

(١) ينظر: طهبوب، د. ماجد، "جراحة التجميل بين المفهوم الطبي والممارسة"، ص ٤٢٤.

(٢) الشنقيطي، د. محمد، "أحكام الجراحة الطبية"، ص ٢٠٢.

(٣) آن جورج، وآخران، "العلم وأصل الإنسان"، ص ١٠.

(٤) ينظر: عليوه، "حقوق المرأة والطفل بين الحقيقة والادعاء"، مجلة البيان، ص ٥٤.

(٥) ينظر: بن حُميد، نجلاء، "نوازل في عمليات تجميل الوجه"، ص ١١٠٢–١١٠٣.

والحالة الثانية: تحويل المرأة إلى رجل أو العكس، حيث يتم إزالة العضو الأنثوي، ويتم تصنيع العضو الذكري وخصية للإنسان.

ثالثًا– الإلزام التعليمي للتغيير الجنسي. حيث اتجهت عدة دول لتقنين تعليم "التحول الجنسي" وتفاصيلهما ضمن "الثقافة الجنسية"، في الجامعات، والصفوف الأولى من المدرسة، وإلزام تعليم ثقافة "العلاقات المثلية" للطلاب في المدارس، وعدم السماح لأولياء الأمور الرافضين لتلك الدروس بسحب أبنائهم، واعتبارها حقًا من حقوق كل طالب وطالبة(١).

رابعًا– المنع من علاج التغيير الجنسي: وصل السفول البشري عند الغرب إلى أن يقرروا في برنامج الأمم المتحدة المنع من تدخل الأسرة في معالجة أبنائهم الراغبين بالتغيير الجنسي، ويرونه جريمة ضد حريتهم، وأنه نوعٌ من التعذيب، كما صدر عن خبير من الأمم المتّحدة تقريرًا يفضي إلى أن علاجات التحويل الجنسي قد ترقى إلى حدّ التعذيب، ويجب حظرها نهائيًّا على مستوى العالم(٢)، مما يعني أنهم يرون أن علاجات الانحراف الجنسي، وممانعة الشذوذ قد صارت جريمة تقف ضد حرية الشاذين جنسيًّا من حريتهم في التحول، وهذا سفول يصادم الفطرة الإنسانية لم يحصل في تاريخ البشرية.

وقد أضاف التقرير المنع من التدخل الروحي في علاجهم وإرشادهم عن طريق الوسائل الدينية؛ ويرون أنها "ترقى إلى حدّ المعاملة القاسية واللاإنسانية والمهينة"(٣).

ويرون أن هذا المنع يشمل الأبوين لو يسعى أحدهما في علاج الابن أو البنت من الانحراف النفسي والثقافي، ويشمل الأطباء في المنع من أي تدخّلات تهدف إلى إحداث تغيير في ميول الشخص الجنسيّة أو هويّته الجنسية لاستعادة شعوره الفطري.

ومن خلال التقرير يظهر أنه ركز على المنع من التدخلات العلاجية في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: تدخلات العلاج النفسي على افتراض أنّ الانحراف الجنسي ينبع من تنشئة أو تجربة غير طبيعية.

النوع الثاني: تدخلات العلاج الطبي، على اعتبار أنّ الانحراف الجنسي هو خلل بيولوجي متأصّل، يحتاج إلى تصحيح صحي.

والنوع الثالث: تدخلات العلاج الروحي، على اعتقاد أنّ الميول الجنسية والهويات الجنسانية المتنوعة تنبع بطبيعتها من الشيطان.

ومن أجل عولمة "حرية التغيير الجنسي"؛ فقد أشارت منظمة الصحة للبلدان الأميركية في العام ٢٠١٢م، أن لا مبرّر طبيًّا لـ "علاجات التحويل"، وإنما تشكّل تهديدًا خطيرًا للصحة وحقوق الإنسان للضحايا(٤).

وفي العام ٢٠١٦م، توصّلت الرابطة العالمية للطب النفسي أنه: "ما من دليل علمي سليم يبرهن أنّه من الممكن تغيير التوجه الجنسي الفطري"(٥).

---

(١) تقرير، تدريس المثلية الجنسية في المدارس.. رعب وقلق يجتاحان الجالية العربية، موقع عرب لندن، بتاريخ ٢٠١٩/٧/١٦، متاح عبر الرابط التالي: https://bit.ly/3TJvUmN

(٢) ينظر: الخبير بالهوية الجنسانية "فيكتور مادريغال بورلوز"، موقع الأمم المتحدة، يوم ١٣ تموز/ يوليو عام ٢٠٢٠م، رابط: https://www.ohchr.org/ar/stories/2020/07/conversion-therapy-can-amount-torture-and-should-be-banned-says-un-expert

(٣) تقرير: بورلوز، "علاجات التحويل الجنسي"، موقع الأمم المتحدة، المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) المصدر السابق نفسه.

وفي العام ٢٠٢٠م، أصدرت المجموعة المستقلّة لخبراء الطب الشرعي أن "علاج التحويل" هو شكل من أشكال الغشّ والخداع والإعلان الكاذب والاحتيال[١].

المطلب الرابع: السفول المادي المطلق:

صار الإنسان في العالم الغربي جزءاً من المادية، أو تابعاً للمادية، فهو إنسان مسلوب الذات والمعنى في هذه الحياة، لأن مركزية المادية طاغية عليه، وانتزعوا من المعنى الإنساني أهم مبادئه، وهي ما يمكن التعبير عنها بما يأتي:

أولًا- إنسان عقلاني بلا روح:

لم يكن الغرب ليصل إلى محطة إنكار الإنسان، إلا بعد طمس ملامح هويته التي تسمو به عن غيره من الموجودات، وإذا كانت جملة تفسيرات الكون الدينية للأسئلة الكبرى قد تعرضت للتطهير المنهجي من سائر المواصفات الروحية"[٢]، فهو لا يرى على نفسه سلطة غيبية من الله سبحانه وتعالى، ولا يتلقى المعارف الإلهية عن الكون والطبيعة، ولا يكون ملزمًا بالتدين والنبوات والوحي والكنيسة، فهو بذاته مرتبط بالعقل والمنطق، ومتحد بوحدة الطبيعة، والامتثال لقوانينها[٣].

فهو على هذا المبدأ إنسان مادي محض، لا يتأثر بالامتثال للوازع الفطري، فيتعامل مع أبويه وزوجته وأبنائه بمشاعر تعاقدية ونفعية، أكثر منها علاقة روحية. كما قيل: "إنه إنسان بلا صفات، إنسان الحداثة الباكرة، الذي نضج حتى أصبح إنسانًا بلا روابط"[٤].

ويدعو الفيلسوف (فيبر) إلى محو الغيبيات، وفصل الطبيعة عن الله، بقوله: "بحيث لا يرى الإنسان بعد ذلك في الطبيعة أي أثر للخلق الإلهي، وبذلك ينفتح للإنسان للتصرف في الطبيعة بحرية، واستخدامها وفق حاجاته ورغباته"[٥]، ويرى أن المال هو غاية في ذاته، بقوله: "فواجب كل فرد هو زيادة رأسماله، باعتبار ذلك غاية بذاته"[٦].

ومما سبق يتضح أن فلاسفة الغرب تنطلق بهذه الفلسفة للانحراف الفطري؛ أن الإنسان بطبيعته عقلاني خالص، لا يخضع لأي هيمنة ولا حاكمية غيبية ودينية، ويفصلون بين العلم والدين، وهو ما جعل الإنسان الغربي ينجرف خلف نوازع السُفول المادي، ويكون أداة لأهوائه المطلقة.

ثانيًا- إنسان أخلاقي بلا إيمان:

يرى فلاسفة الغرب أن الإنسان أخلاقي بحريته، بلا شروط خارجة عنه، ولا يمليها أحد فوقه، ولا دافع له إليها غير نفسه وملاحظاته، فهو الذي يؤسسها بعقله ووجدانه[٧]. وعلى هذا فهي أخلاق لا تتسم بالثبات، فهي آيلة للتغير والتبدل دائماً حسب المزاج والهوى، وتتغير مشروعية علاقاته وحاجاته بحسب تغيرها في حياته الاجتماعية، فهو حر أكثر من كونه مدنياً اجتماعياً يتأثر بالوعي الجمعي والمدني.

كما أن الفيلسوف (فيبر) ينظر على الأخلاق بأنها واجب مهني دنيوي، بقوله: "القيام بالواجب في سياق مهنة دنيوية، باعتباره أسمى مضمون تكتسبه بغية تأكيد الذات أخلاقياً على الإطلاق"[٨].

ويرى آخرون أن الأخلاق هي انعكاس عن علاقات المجتمع والجماعة في البيئة الواحدة، أو العصر الواحد، باعتبار أن الضمائر تتشارك بالانطباعات والأخلاق فيما

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تارناس، ريتشارد، "آلام العقل الغربي"، ص ٥٠٠.

(٣) ينظر: مورباشة، عبد الحليم، "مفهوم الإنسان في العلوم الاجتماعية من النموذج الدنياني إلى النموذج الائتماني"، ص ١٥٦.

(٤) نروبرت، "مجتمع الأفراد"، ص ١٣٨.

(٥) العطاس، "مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية"، ص ٤٤.

(٦) فيبر، ماكس، "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"، ص ٢٨.

(٧) كانط، إمانويل، "الدين في حدود مجرد العقل"، ص ٤٥.

(٨) فيبر، "مفاهيم أساسية في علم الاجتماع"، ص ٥٥.

بينها، وتسود بينهم القيم التي يتفاعلون معها بحريتهم المطلقة[١].

والفيلسوف (فرويد) كان أكثر سقمًا وتعقيدًا في فلسفته، عندما رأى أن الإيمان بالإله يعد مرضاً نفسياً أصاب الإنسانية، وأن لا وجود حقيقي للإله إلا في مخيلة الإنسان الحيواني، ويقوده هذا التفكير إلى "نفي الله، وكل مثل أعلى أخلاقي"، والغاية المثلى للإنسان هي اللذة التي تعني جوهر الإنسانية، وهدف الحياة، وهي صفة الإنسان المتحضر، والجماعة المتحضرة[٢].

الفلسفة المادية تفشل في تفسير إصرار الإنسان في البحث عن المعنى الفطري للحياة، وكون الإنسان مستخلفاً في الكون بمبدأ الخيرية والصلاح؛ ويبحث عن السعادة الفطرية. والحقيقة أنه حينما لا يجد هذا المعنى، فإنه يستمر في الاستغلال المادي مثل الحيوان الأعجم، ويتفسخ ويصبح عدمياً ويتعاطى المخدرات، وينتحر، ويرتكب الجرائم دون سبب مادي واضح. وتزداد قضية البحث عن المعنى الفطري حِدّة مع ازدياد إشباع الجانب المادي في الإنسان[٣].

كل هذه الفلسفة لا تضع الإنسان في مقام التكريم، وإنما هي تنتزع جوهره الكريم، وتستبدله بأسفل المبادئ، وأتفه الصفات التي هي حيوانية بالأصل، ودونية في الطباع، كما يقول الراغب الأصفهاني: "ومن صرف همته كلها إلى تربية القوة الشهوية باتباع اللذات البدنية، يأكل كما تأكل الأنعام فخليق أن يلحق بأفق البهائم، فيصير إما غمرًا كثور، أو شرهًا كخنزير، أو ضريًا ككلب، أو حقودًا كجمل، أو متكبرًا كنمر، أو ذا روغان كثعلب، أو يجمع ذلك كله فيصير كشيطان مريد"[٤].

الخاتمة:

أختم هذا البحث بأبرز النتائج والتوصيات:

أولًا- أبرز النتائج:

١. أن الله ميّز الإنسان بالفطرة التي جُبِلَ عليها، وبها يتمكن من الإلمام بالمعارف الضرورية، والتفاعل مع القيم، وتغليب المصالح والمنافع التي يميل إليها الإنسان بفطرته، ومن ثمّ الارتقاء إلى الدرجة التي تؤهله للقيام بأعباء استخلاف الله -تعالى- له على الأرض.

٢. أن الإنسان قد يفتقر إلى قانونٍ ينظّم وظائفه؛ لذا منحه الله العقل وميّزه به، وأناط به العلوم والمعارف، وأعطاه من القوى ما يصون بها الذهن والفكر في التفريق بين الصحيح والسقيم من الأفكار؛ وهذا من أعظم التكريم الإلهي للإنسان.

٣. أن الإنسان يُدرك بالإيمان الغاية من وجوده في هذه الحياة، وبه تصلح طبائعه البشرية، ويُخرجه من الفردانية إلى الجماعة، ومن التطرف إلى الاعتدال، ويسيطر على شهواته ليرفعه بالفضيلة، وبه يكون ائتلاف المؤمنين في مجتمع واحد.

٤. أكدّ بعض الباحثين العلميين والاجتماعيين خطورة الاستنساخ البشري، المتمثلة في مسخ الذات الإنسانية، وفقدان النسب بالأبوة والأمومة، واستنساخ أشخاص دون معرفتهم، وهذا من نتائج إخضاع الحضارة الغربية الإنسان إلى الحرية الفردية والمادية باعتباره حيوانًا اجتماعياً يقترب من الحيوانية.

---

(١) دوركايم، إميل، "الفلسفة وعلم الاجتماع"، ص ٧٣.

(٢) فرويد، سيجموند، قلق في الحضارة، ص ١١٤.

(٣) ينظر: المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، ١/ ١٥٨.

(٤) الأصفهاني، "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، ص ٧٩.

٥. تكمن أقبح مظاهر السفول البشري المعاصرة في تزايد سُعار الترويج للشذوذ الجنسي في الغرب ليصل إلى حدِ تجاوز فيه مجرد التشريع، وإقحامه في المناهج التعليمية للأطفال، مما يمثّل تهديدًا خطيرًا للفضيلة وللنشء في العالم كله بما فيهم أبناء المسلمين.

٦. تمثّل تغيير خلق الله المفسد للإنسان في التغيير المادي في الهيئة والطبيعة، ووصل هذا التغيير إلى أبشع مظاهر السفول البشري في تغيير خلق الله إلى درجة تحويل الذكر إلى أنثى والأنثى إلى ذكر عبر الجراحة.

٧. صار الإنسان في العالم الغربي جزءًا من المادية، أو تابعاً للمادية، فهو إنسان مسلوب الذات والمعنى في هذه الحياة، لأن مركزية المادية طاغية عليه، وانتزعوا منه المعنى الإنساني الفطري، مما يمكن التعبير عنه بأنه إنسان عقلاني بلا روح، وإنسان أخلاقي بلا إيمان.

٨. تتمثل خلاصة السفول البشري المعاصر في تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية، ومسخ الصفات والأفكار التي تُميّزه عن غيره من الكائنات، فتُجرّده من إنسانيته؛ أي: تُسقط عنه حرية الاختيار والمقدرة على تحقيق جوهر إنسانيته الشريفة.

ثانيًا- التوصيات:

أولًا- أوصي كافة مؤسسات المجتمع ابتداءً بالأسرة وانتهاءً بالإعلام؛ بتحصين النشء ذكورًا وإناثًا من أخطار اختراقات مظاهر السفول البشري المعاصرة، لما تمثله من دمارٍ عقديٍ وفكريٍ وقيميٍ وأخلاقيٍ واجتماعيٍ على مستوى الفرد والمجتمع.

ثانيًا- أوصي الباحثين في المؤسسات الأكاديمية بمختلف التخصصات الإنسانية؛ بمزيدٍ من الأبحاث والدراسات المتعلقة بمظاهر السفول البشري، وكيفية تحصين الأفراد والمجتمعات منها، مع تقديم برامج عملية قابلة للتنفيذ ميدانيًا.

المراجع

الأمارة، أشرف، علم نفس الشواذ، دار صفاء، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٤م

آن جورج، وآخران، العلم وأصل الإنسان، ترجمة: مؤمن الحسن وموسى إدريس، دار الكاتب، الإسماعيلية، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي، الصحيح الجامع، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

بكير، نجيب محمد، اللقاء بين آدم وحواء والقانون والانسان، مكتبة عين الشمس، مصر.

بن حُميد، صالح بن عبد الله، وعبد الرحمن بن محمد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم(ﷺ)، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، ١٤٢٩هـ.

تارناس، ريتشارد، آلام العقل الغربي، ترجمة: فاضل جتكر ومحمد العيار، العبيكان للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ٢٠١٠م.

الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

الجومرد، محمود، إنسان الحضارة في القرآن الكريم، مطبعة المعارف، بغداد، ط١، ١٩٨٢م.

الخازن، علي بن محمد إبراهيم، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

الخطيب، محمد، الأثنولوجيا دراسة عن المجتمعات البدائية، دار علاء الدين للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٠م.

الخطيب، معتز، من المقاربة الفقهية إلى المقاربة الأخلاقية، مجلة الأخلاق الإسلامية، المجلد ٣، العددان ١، ٢، ديسمبر ٢٠١٩م

دوركايم، إميل، الفلسفة وعلم الاجتماع، ترجمة: حسن أنيس، المكتبة الأنجلو مصرية، مصر، ط١، ١٩٦٦م.

دياب، د. عبد الحميد، د. أحمد قرقوز، مع الطب في القرآن الكريم، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٦، ١٤٠٤هـ.

الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م

زروقي، أسماء، المخططات المعرفية غير المتكيفة لدى الجنسي المثلي، ماجستير، جامعة البليدة لونيسي علي، العفرون الجزائر، ٢٠٢٠م.

الشنقيطي، د. محمد بن محمد المختار، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ط٢، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م

طبارة، عفيف عبد الفتاح، روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

طلعت، هيثم، المثلية الجنسية الجريمة والعقاب، مركز تبصير للأبحاث العلمية والتراث والترجمة، ط١، ٢٠٢٣م.

ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

ابن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

عليوه، علي، حقوق المرأة والطفل بين الحقيقة والادعاء، مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد ١٦٥.

عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

العون، خالد، أحكام المثلية الجنسية بين الفقه والقانون القطري. مجلة العلوم الإسلامية الدولية، ط٢، ٢٠٢٢م.

الفراج، وليد، "السر في القسم بالتين والزيتون في ضوء الكتاب المكنون دراسة نظرية تطبيقية"، مجلة كلية الدعوة وأصول الدين، المجلد: ٣٨، العدد ٤، عام ٢٠٢٠م.

فرويد، سيجموند، قلق في الحضارة، ترجمة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

فيبر، ماكس، الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، ترجمة: محمد علي مقلد، مركز الإنماء القومي، بيروت، بدون طبعة وتاريخ

فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة: صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١،

٢٠١٥م.
الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
ابن القيم، محمد بن أبي بكر، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تحقيق: عبد الرحمن حسن قائد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة، ط١، ٢٠٠٠م.
كانط، إمانويل، الدين في حدود مجرد العقل، ترجمة: فتحي المسكيني، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.
ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
المسيري، د. عبد الوهاب، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ
موسى، د. محمد يوسف، الإسلام وحاجة الإنسانية اليه، دار الفكر العربي، ط٢، ١٣٨٠هـ- ١٩٦١م.
نروبرت، إلياس، مجتمع الأفراد، ترجمة: هاني صالح، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٤م.
الهاشمي، أحمد عادل، الإنسان في الأدب الإسلامي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.
هنري أتلان، مارك أوجيه، وآخرون، الاستنساخ البشري، ترجمة: مها قابيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٦م.